

سلسلة الأربعون النووية

إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا))، [حديث حسن رواه الدارقطني وغيره].

الله عز وجل عندما خاطبنا في القرآن الكريم أو عندما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحاديث القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لنا أحكاماً لمسائل الحياة.

يعني الصلاة لها حكم، اللباس له حكم، الزواج له حكم، الزنا له حكم، شرب الماء له حكم، مجالسة الصالحين له حكم، مجالسة الفاجرين لها حكم، البيع له حكم، الربا له حكم، وهكذا سائر مفردات المعاملات والعبادات، وسائر مفردات الحياة.

الأحكام التكليفية التي شرعها الله لعباده خمسة: الفرض والسنة والمباح والمكروه والمحرم. أي أمر الزواج مثلاً ما حكمه؟ إما أن يكون فرضاً أو سنة أو مباحاً أو مكروهاً أو حراماً. الزنا، البيع، الربا، شرب الماء، ستر العورة، مجالسة الصالحين، مجالسة الفاجرين، كلها من هذه الخمسة.

1- الفرض: هو ما ترتب على فعله ثواب، وعلى تركه عقاب.

يعني صلاة الظهر ما حكمها؟ فرض. ففاعلها يثاب، وتاركها يعاقب.

((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا)) فمن الفروض: صوم رمضان، بر الوالدين، النفقة على الأولاد الصغار للميسور، رعاية الزوجة والنفقة عليها، طاعة الزوجة زوجها...

ومعنى فرض في اللغة: هو القطع.

يعني أمر مقطوع به، فلا يجوز لأحدهم أن يقول: لا أرغب بصلاة الظهر الآن، أو الدّين ليس بالصلاة، ولكن بالمعاملة، كل الناس تصلي المهم الأخلاق... الصلاة فرض أمر مقطوع به فلا يأتي أحد ليقول: الدّين ليس بالصلاة.. بل الدّين بالصلاة وبأشياء أخرى لأن الصلاة فرض.

لا يجوز أن يقرر زوج عدم الإنفاق على الزوجة بسبب شجار حصل بينهما، لأن النفقة على الزوجة فرض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا لِلَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ))، [مسلم].

صحيح أن الزوجة الناشز (التي لا تطيع زوجها) تسقط نفقتها، والمرأة الحائض تسقط عنها الصلاة، ومثل المريض يسقط عنه الصوم إلى أن يبرأ. يعني الله تعالى يُسقط عن العبد بعض الفرائض إلى وقت آخر، وأحياناً يسقطه بالكلية ويستبدله بغيره.

الآن المريض المسن الذي لا يستطيع الصوم أبداً هل يجب عليه أن يصوم؟ لا.. يُسقط الله تعالى عنه فرض الصوم، مع أن الصوم فرض لكن المريض المسن الذي لا يستطيع أن يصوم أبداً بالكلية يسقط الله عنه فرض الصوم ولكن يستبدله بفرض آخر وهو الفدية بإطعام مسكين.

-2 السنة (مستحب، مندوب): هي ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

ما حكم السواك؟ سنة.. يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

التزين في الثياب، سنة.. فاعلها يثاب وتاركها لا يعاقب.

قال بعض العلماء: تاركها يعاتب، يعني يوم القيامة يعاتبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

-3 المباح: ويستوي فيه الفعل والتترك، كشرب الماء مثلاً.

-4 المكروه: وهو ما يثاب تاركه، ولا يعاقب فاعله.

الآن في الوضوء يسن إذا أردت غسل يديك أن تغسلها ثلاث مرات، فلو جعلها أحدهم أربعة فهذه مكروهة فإذا تركتها تثاب.

5- المحرم : وهو ما يعاقب فاعله، ويثاب تاركه فهو عكس الفرض.

الزنا مثلاً: حكمه حرام فيعاقب فاعل الزنا ويثاب تاركه.

النظر إلى الحرام: حكمه حرام يثاب تاركه ويعاقب فاعله.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا)) فهذا الحكم التكليفي الأول وهو الفرائض.

((وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا))، هذا النوع الخامس وهو الحرام.

((وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا)) قال العلماء: (حدود الله هي فرائضه وسننه ومباحاته) يعني

المباح يجوز أن تفعله، والمسنون يستحب أن تفعله، والفرض يجب أن تفعله، هذه الثلاثة أنت مدعو إلى فعلهم.

الآن ما وراء هذه هي حدود الله، أي أن الله وضع لك حدوداً وقال: يا عبدي هذه هي الفرائض وهذه هي السنن وهذه هي المباحات فعليك أن تتحرك في هذه الدائرة الواسعة لكن لا تخرج عن هذه الحدود ولا تتعدها.

وقال بعض العلماء: في معنى كلمة الحد (هي جملة ما أذن الله تعالى في فعله من الفرائض والسنن والمباحات) هذه حدود الله فلا أحد يتجاوز هذه الثلاثة فيخرج إلى المكروه أو يخرج إلى الحرام).

وبعضهم قال: (حدود الله هي محارم الله) يعني هي المعنى الخامس من الأحكام التكليفية.

((فَلَا تَعْتَدُوهَا)) أي لا تحترق المحرمات.

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((الْحَالَلُ بَيْنَ وَالحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ فِي الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمَةٌ...))، [البخاري ومسلم].

الملوك عادة يجعلون حول قصورهم حراسة والحراسة تكون ليس عند القصر وجدرانه فقط، بل هناك مسافة معينة لا أحد يقترب من هذه الحدود، ((أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى)) أي

منطقة محظورة لا يقترب منها أحد ((أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَرَّمَةٌ...)) الله وضع أموراً محرّقات لا أحد يخترق هذه المحرّقات.

الآن الحديث يا أيها الإخوة يقول : ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا)) مطلوب من كل مسلم ومن كل مسلمة أن يجتهد كل جهده لئلا يضيع فرضاً من فرائض الله ذلك لأن النفس الأمارة بالسوء والشيطان والناس غير المنضبطين بالشرع يدعونك مراراً وتكراراً إلى تضييع الفرائض.

تَفْسُكَ تدعوك إلى ترك الصلاة، صاحبُ السوء يدعوك إلى ترك الانضباط بالصوم، الشيطان يدعوك إلى عدم دفع الزكاة، أما النبي صلى الله عليه وسلم يدعوك والله يدعوك ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))، [البخاري].

يجب الله عز وجل الفرائض، يجب الله صيام رمضان، يجب الله الزكاة والصلوات الخمسة، ويجبك أن تكون باراً بوالديك وأولادك وزوجتك، هذه فرائض الله عليك أن تجاهد نفسك ما استطعت على أن لا تضييع الفرائض.

قال أحد الصالحين: كابدت الصلاة عشرين سنة واستمتعت بها عشرين سنة. حافظوا على الفرائض ما استطعتم لأن فرائض الله أقرب ما يقربكم إلى الله عز وجل. ((وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا)) كذلك الشيطان يريد منك أن تخترق حدود الله إما باتجاه المحرمات أو باتجاه المكروهات؛ لذلك مطلوب منك أن تجاهد نفسك وأن تكابد نفسك حتى لا تخرج عن دائرة الإباحة ودائرة ما أذن لك به الشارع وهو رب العالمين.

مساحة الحلال واسعة فيأتي رجل يريد أن يعمل بمحل يبيع الدخان فما الحكم؟ حرام.. أنت تعديت حدود الله، كم من سلعة موجودة في الأسواق كلها حلال فلماذا اتجهت باتجاه الحد الذي هو حرام؟

هناك شخص يريد أن يعمل في مطعم يقدم خمر. رجل يريد أن يجلس في بيته ويضع ماله في بنك ربوي ويأخذ فوائد الربا.

يا رجل مساحة العمل الحلال واسعة جداً ممتدة طولاً وعرضاً شرقاً وغرباً أنت تركت كل هذا الحلال ومضيت باتجاه الربا الذي حرمه الله.

الحد في اللغة: أصله المنع وطرف الشيء، نقول: حد المنضدة أي طرفها، ونقول: هو المنع حد الرجل من أفعاله السيئة أي منع نفسه من أفعاله السيئة. وإنما جعلت الحدود حدوداً لأنها ممنوعات فلا أحد يخترق باتجاه الممنوعات.

((وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا)) في القرآن الكريم رب العالمين يقول ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، [البقرة: 168] الشيطان يأتي إليك خطوة خطوة ليدعوك للوقوع في أكبر الكبائر والشيطان لا يقول لك مباشرة تعال ادخل في أكبر الكبائر هو يخطو معك خطوة خطوة، يأمرك بداية بتأخير الفرائض، ثم يأمرك بتأجيل الفرائض، ثم يأمرك بترك الفرائض، ثم ترك السنن، ثم ترك الآداب، ثم الوقوع في المكروهات، ثم يقربك من الحرام يحثك للجلوس مع أهل المعصية، ثم يدعووك إلى النظر إلى أهل المعصية، ثم يدعووك للرضا بالمعصية والسرور بها، ثم يدعووك إلى تناول المعصية، ثم يدعووك إلى الإصرار على المعصية، ثم يدعووك إلى المجاهرة بالمعصية، ثم يدعووك إلى الدعوة إلى المعصية، وأخيراً يدعووك إلى تحدي رب العالمين في المعصية، وهذا هو الكفر أن يتحدى امرؤ ربه بالمعصية.

لذلك أنت امنع نفسك ولا تسمح للشيطان أن يوصلك إلى آخر خطوة من خطواته فمن أول الطريق اقطع على الشيطان طريقه.

((وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحِمَةً لَكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا)) الآن هناك قاعدة.

أيها الإخوة في المعاملات هي (الأصل في المعاملات الإباحة حتى يأتي الدليل الحاضر) أي المانع.

ما حكم شرب الماء بكأس زجاج أو بلاستيك أو ستانلس؟ الإباحة.. أما الفضة حرام. عن حُذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ الْحَرِيرِ وَالذَّبَّاجِ وَعَنْ الشُّرْبِ فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ: ((هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ))، [أبو داود].

اشرب بما شئت من الآنية إلا الذهب والفضة؛ لذلك قال العلماء: ملعقة الذهب والفضة حرام، أما الخزف والمعدن والزجاج والمرمر كلها جائزة.

بالبيت اصنع عصير يرتقال وفواكه ومنجا وعنب وتمر وعسل كلها جائزة، أما أن يكون فيها كحول بنسبة 1% صار حرام.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ((مَا أَسْكُرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ))، [الترمذي وأبو داود].

((وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحِمَهُ لَكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبَحْثُوا عَنْهَا)) قال بعض العلماء: هذا المقطع خاص بزمن النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يخافون أن يسأل امرؤ عن أمر لم يحرم فيحرم من أجله أو لم يكن مفروضاً فيفرض من أجله.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، [آل عمران: 97] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ قَالَ: ((لَا، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ))، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾، [المائدة: 101]، [رواه الترمذي].

يا أيها الإخوة ما استطعنا أن نجهد في ترك الحرام وفي إتقان الفرائض وفي أداء ما استطعنا من النوافل فإن هذه الثلاثة هي باب الولاية لتدخل فتصير من أولياء الله تعالى، ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.